التصوف بين رواده وحساده

بقلم الأستاذ محمد محمود على بحبح
شيخ الطريقة السطوحية

التصوف من قديم أصل من أصول التربية الروحية ، بل هو الدعامة الأولى التى قامت عليها فى شتى الأزمان ومختلف الأيام الأسس الأخلاقية والتربية النفسية .

فمن لدن آدم عليه السلام إلى محمد عليه الصلاة والسلام ومن تبعه كان التصوف نبراس الهداية . ومبيد الطمع والجشع والغواية .

فى كل زمن تجد التصوف . وأمامهم حسادهم من ضعاف اليقين وطلاب الجاه والزلفى عند الحكام والسلاطين .

المتصوفون ومعهم المريدون والعابدون الحامدون الذاكرون الزاهدون . وأمامهم هؤلاء المؤلفون . المداهنون . يرمون المتصوفة بالتوا كل مرة وبالتدجيل أخرى بل وبالإلحاد فى بعض الأحيان ، والمتصوفة ، يمرون بقولهم مر الكرام يطلبون لهم الهداية . وهم يرمونهم بالغواية .

الصوفى لا يزاحم غيره فى دنياه ، لأنه لا يأخذ منها إلا بقدر ما يوصله إلى أخراه . اتخذ دنياه ممراً إلى مقر دائم . ونعيم مقيم .

ومن الغريب العجيب أنك تجد ممن يتطاولون على الصوفيين ، فى ممر الأيام والسنين من ينتسبون إلى الدين :

قال بعضهم فى الحلاج إنه مارق من دينه . ويعلم الله أنه من أوائل الموحدين ، وقالوا عن الجنيد أنه مجنون . وكم هدى الآلاف إلى الطريق المأمون ، وقالوا عن البدوى إنه جاسوس ، ومعلوم أن له اليد الطولى فى تعبئة الشعب ضد الصليبيين . وهل نستكثر عليهم هذه الأقوال وقد سبقهم غيرهم فى سيد المتصوفين حيث قالوا عنه : (إنه شاعر وأنه مجنون) .

والله لو تجرد الحاقدون ، وحكموا عقولهم فيما يقولون ، ودققوا النظر فيما يصدر عن الصوفيين ، لخجلوا وقالوا :

ربنا لا تؤاخدنا فيما مضى ، واحشرنا فى زمرة المتصوفين ...

جاءنى رجل متعلم وقال ـ مولاى ـ هل يصح أن تكون رسالتكم أن تشجعوا الناس على التواكل بحجة أن هـذا توكل . وعلى عدم التداوى على أن هذا تسليم . وعلى مجافاة الناس وعدم التآلف معهم بحجة أن هذا عزلة هل يليق هـذا وخصوصا من الشيوخ المتعلمين .. فقلت له والله يا أخى : لو أنصفت لقلت . الناس يظلونكم بنسبة كذا وكذا إليكم فما رأيك لأن ما وجهته أين دليلك عليه . فقال : هذا هو المشاع المذاع عن السادة مشايخ الطرق الصوفية . فقلت لاحول ولا قوة إلا بالله .

أما عن الشطر الأول من سؤالك عن أننا نشجع التواكل فهذا كلام مردود بل مفترى . لأن نفس المشايخ أغلبيتهم العظمى لهم أعمال إما حكومية أو حرة . والقليل له من موارده ما يكفيه وبلغ من السن ما يحتاج فيه إلى الراحة .

ويا أخى : هل غاب عنك أن الصوفية الذين يأخذون بعزائم الأمور أول من يطبق على نفسه الحديث الشريف (من بات كالا من عمله . بات مغفورا له) أما عن الشطر الثانى وهو الدعوة إلى عدم التداوى فهات دليلك على شيخ واحد يدعو إلى ذلك . مع أن سماحة شيخ المشايخ فى الشهر الماضى أجرى جملة استشارات طبية بسبب انحراف بسيط فى مجرى الهواء .

أما عن الشطر الثالث من سؤالك فلا يزيد عن الشطرين السابقين إلا أن عكسه هو الصحيح بدليل أن السادة المشايخ يقيمون السرادقات ويضيئون الثريات فى موالدهم ويقدمون للناس أنواع المأكولات والمشروبات فكيف يحتفل بالناس من يكره لقاءهم .

هذا مثل بسيط مما هو سائد فى بعض العقول حتى المتعلمة من القائمين بالتصوف فى هذا الزمان .

قوم يجودون بمـا يملكون . براحتهم ومالهم ووقتهم فى سبيل نشر دعوة الإسلام وحفظ شعاراته المقدسة وتعاليمه الوضاءة . ولا يسألون عليه أجرا إلا المودة والمحبة والسعى لرضاء رب العالمين .

اللهم لا ملجأ للصوفية إلا إليك . أنت الذى تعلم ما فى نفوسهم وأنت الذى حفظتهم وحفظت دعوتهم فيما

مضى وستحفظهم فيما سيأتى ، لأنها دعوتك بل هى نورك ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

ولعل فيما تقوم به المشيخة الآن من إعداد تشريع جامع مانع يحفظ للصوفية كيانها . ويبعد دخلاءها ويطهر ساحتها من الجهلاء والأدعياء لعل فى هذا الجهد المشكور المأجور ما يسد الطريق أمام الحاقدين .

والله سبحانه وتعالى هو الهادى إلى سواء السبيل .

شيخ الطرق السطوحية

محمد محمود على بحبح

دعاء الجيلى . . .

من مأثورات المناجاة الصوفية المجابة ، مناجاة العارف بالله ، الإلهى الإمام عبد القادر الجيلى ، يقول عنها العارفون إنها من سهام الدعاء التى لا ترد فى تفريج الكروب :

يا من تحل بذكره ... عقد النوائب والشدائد
يا من إليه المشتكى ... وإليه أمر الخلق عائد
يسر لنا فرجا قريبا ... يا إلهى لا تباعد
أنت المعز لمن أطا ... عك والمذل لكل جاحد
فرج بفضلك كربتى ... فلقد نسيت من الأباعد
أنت المسهل والميسر والمسخر والمساعد